مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية محكمة (معتمدة) شهرية

يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط

السنة السابعة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

العدد التاسع والستون (نوفمبر ٢٠٢١)

الترقيم الدولي: (2536-9504)

الترقيم على الإنترنت: (2735-5233)

لا يسمح إطلاقا بترجمة هذه الدورية إلى أية لغة أخرى، أو إعادة إنتاج أو طبع أو نقل أو تخزين أي جزء منها على أية أنظمة استرجاع بأي شكل أو وسيلة، سواء إلكترونية أو ميكانيكية أو مغناطيسية، أو غيرها من الوسائل، دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من مركز بحوث الشرق الأوسط.

All rights reserved. This Periodical is protected by copyright. No part of it may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without written permission from The Middle East Research Center.

الأراء الواردة داخل المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها وليست مسئولية مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية : ٢٤٣٣٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: (Issn :2536 - 9504)

الترقيم على الإنترنت: (Online Issn :2735 - 5233)

مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية مُحكَّمة

متخصصة

في شئون الشرق الأوسط

مجلة مُعتمَدة من بنك المعرفة المصري

موقع المجلة على بنك المعرفة المصري

www.mercj.journals.ekb.eg

- معتمدة من الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية (*ARCI*) . المتوافقة مع قاعدة بيانات كلاريفيت *Clarivate* الفرنسية.
- معتمدة من مؤسسة أرسيف (*ARCIf*) للاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية ومعامل التأثير المتوافقة مع المعايير العالمية.
- تنشر الأعداد تباعًا على موقع دار المنظومة.

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العدد التاسع والستون - نوفمبر ٢٠٢١

تصدر شهريًّا

السنة السابعة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

المطبعة
مطبعة جامعة عين شمس
Ain Shams University Press

مجلة بحوث الشرق الأوسط (مجلة مُعتمدة)
دوريَّة علميَّة مُحكَّمَة (اثنا عشر عددًا سنويًّا)
يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رئيس مجلس الإدارة
الأستاذ الدكتور / هشام تمراز
نائب رئيس الجامعة لشئون المجتمع وتنمية البيئة
ورئيس مجلس إدارة المركز

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور / أشرف مؤنس
مدير مركز بحوث الشرق الأوسط
والدراسات المستقبلية

هيئة التحرير

أ.د. محمد عبد الوهاب (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. حمدنا الله مصطفى (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. طارق منصور (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. محمد عبدالسلام (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق (جامعة القاهرة - مصر)
أ.د. أحمد عبد العال سليم (جامعة حلوان - مصر)
أ.د. سلامة العطار (جامعة عين شمس - مصر)
لواء د. هشام الحلبي (أكاديمية ناصر العسكرية العليا - مصر)
أ.د. محمد يوسف القريشي (جامعة تكريت - العراق)
أ.د. عامر جادالله أبو جبلة (جامعة مؤتة - الأردن)
أ.د. نبيلة عبد الشكور حساني (جامعة الجزائر٢ - الجزائر)

إشراف إداري
عبيـر عبدالمنعم
أمين المركز

سكرتارية التحرير
نهـا نـوار رئيس وحدة البحوث العلمية
ناهد مبارز رئيس وحـدة النشـر
رانـدا نـوار وحـدة النشـر
زينب أحمد وحـدة النشـر
رشا عاطف وحـدة النشـر

المحرر الفني
ياسر عبد العزيز
رئيس وحدة الدعم الفني

تنفيذ الغلاف والتجهيز والإخراج الفني
وحدة الدعم الفني

تدقيق ومراجعة لغوية
د. تامر سعد محمود

تصميم الغلاف أ.د. وائل القاضي

توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: أ.د. أشرف مؤنس، رئيس التحرير
البريد الإلكتروني للمجلة: Email: middle-east2017@hotmail.com
• وسائل التواصل:
جامعة عين شمس- شارع الخليفة المأمون- العباسية- القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص.ب: 11566
تليفون: 24662703 (202+) فاكس: 24854139 (202+) (موقع المجلة موبايل/واتساب): 01098805129(2+)
ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: www.mercj.journals.ekb.eg
ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر

مجلة بحوث الشرق الأوسط

- رئيس التحرير أ.د. أشرف مؤنس

- الهيئة الاستشارية المصرية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الأسكندرية - مصر
- أ.د. أحمد الشربيني عميد كلية الآداب السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أحمد رجب محمد علي رزق عميد كلية الآثار - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. السيد فليفل عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. إيمان محمد عبد المنعم عامر رئيس قسم التاريخ السابق - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أيمن فؤاد سيد رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مصر
- أ.د. جمال شفيق أحمد محمد عامر كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حمدي عبد الرحمن كلية الحقوق - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حنان كامل متولي وكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. صالح حسن المسلوت رئيس قسم التاريخ والحضارة الأسبق - كلية اللغة العربية
  فرع الزقازيق - جامعة الأزهر – مصر
  وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة
- أ.د. عادل عبد الحافظ عثمان حمزة كلية الآداب - جامعة المنيا،
  ومقرر لجنة الترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات - مصر
- أ.د. عاصم الدسوقي عميد كلية الآداب الأسبق - جامعة حلوان - مصر
- أ.د. عبد الحميد شلبي كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د. عفاف سيد صبره كلية الدراسات الإنسانية بنات بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د.عفيفي محمود إبراهيم عبدالله كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
- أ.د. فتحي الشرقاوي كلية الآداب - نائب رئيس جامعة عين شمس السابق - مصر
- أ.د. محمد الخزامي محمد عزيز عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة الجلالة - مصر
- أ.د. محمد السعيد أحمد كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- لواء/ محمد عبد المقصود رئيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء - مصر
- أ.د. محمد مؤنس عوض كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان
  قطاع الخدمة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للجامعات ورئيس لجنة ترقية الأساتذة
- أ.د. مصطفى محمد البغدادي كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. نبيل السيد الطوخي كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر
- أ.د. نهى عثمان عبد اللطيف عزمي كلية السياحة والفنادق - جامعة مدينة السادات - مصر

- الهيئة الاستشارية العربية والدولية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم خليل العَلاّف — جامعة الموصل- العراق
- أ.د. إبراهيم محمد بن حمد المزيني — كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية
- أ.د. أحمد الحسو — جامعة مؤتة- الأردن
  مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية - إنجلترا
- أ.د. أحمد عمر الزيلعي — جامعة الملك سعود- السعودية
  الأمين العام لجمعية التاريخ والآثار التاريخية
- أ.د. عبد الله حميد العتابي — كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - العراق
- أ.د. عبد الله سعيد الغامدي — جامعة أم القرى - السعودية
  عضو مجلس كلية التاريخ، ومركز تحقيق التراث بمعهد المخطوطات
- أ.د. فيصل عبد الله الكندري — جامعة الكويت- الكويت
- أ.د. مجدي فارح — رئيس قسم الماجستير والدراسات العليا - جامعة تونس١ - تونس
- أ.د. محمد بهجت قبيسي — جامعة حلب- سوريا
- أ.د. محمود صالح الكروي — كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد- العراق

- *Prof. Dr. Albrecht Fuess* — Center for near and Middle Eastem Studies, University of Marburg, Germany
- *Prof. Dr. Andrew J. Smyth* — Southern Connecticut State University, USA
- *Prof. Dr. Graham Loud* — University Of Leeds, UK
- *Prof. Dr. Jeanne Dubino* — Appalachian State University, North Carolina, USA
- *Prof. Dr. Thomas Asbridge* — Queen Mary University of London, UK
- *Prof. Ulrike Freitag* — Institute of Islamic Studies, Belil Frie University, Germany

محتويات العدد ٦٩

عنـوان البحـــث	الصفحـــة
• **الدراسات التاريخية:**	
١- **رسالة الأسير سمسم المصري في سجون الصليبيين بنابلس (١١٧٧-١١٨٦م) إلى أهله بالفسطاط من خلال وثائق الجنيزة اليهودية**	٣ – ٢٦
أ.د. محمد مؤنس عوض	
٢- **العلاقات الأمريكية – العراقية في ظل إدارة الرئيس باراك أوباما (٢٠٠٩-٢٠١٦م)**	٢٧ – ٥٦
م.د. علي محمد حسين العامري	
٣- **دور التعليم المشترك في تعزيز التماسك الاجتماعي في أيرلندا الشمالية**	٥٧ – ٨٠
د. سحر حربي عبد الأمير	
٤- **بناء ثقافة السلام من المنظور السوسيولوجي**	٨١ – ١٠٨
أ.م.د. منى جلال عواد	
٥- **آليات إصلاح التعليم في سنغافورة لتحقيق التنافسية العلمية (١٩٧٩-١٩٩٧م)**	١٠٩ – ١٣٦
الباحثة/ مروة أحمد محمود أحمد عبدالمنعم	
٦- **المراكز البحثية: مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية – جامعة عين شمس «أنموذجًا»**	١٣٧ – ١٦٦
د. هنادي السيد محمود إمام	
• **الدراسات الجغرافية:**	
٧- **التسرب من التعليم لمرحلة التعليم المهني (تحليل جغرافي) «محافظة بغداد أنموذجًا»**	١٦٩ – ١٨٨
م. د. أسيل إبراهيم طالب حياوي القيسي	
٨- **المناخ والجذب السياحي في محافظة جنوب سيناء**	١٨٩ – ٢٣٦
د. عمرو كمال الدين السيد سليمان	

تابع محتويات العدد ٦٩

عنــوان البحـــث	الصفحـــة

- **دراسات اللغة العربية:**

٩- التدوينية ما بعد الشفاهية والكتابية ..... **٢٣٩ – ٢٧٠**
الباحث/ عمر فاروق محمد

١٠- أنماط الرؤية السرديَّة في حربيَّات المتنبِّي ..... **٢٧١ – ٣١٨**
الباحث/ محمد رجب عبدالحليم المنشاوي

- **الدراسات الفلسفية:**

١١- وجهة النظر الكانطية في الفلسفة البيئية ..... **٣٢١ – ٣٥٢**
د. هشام صالح سليمان صالح

١٢- استراتيجيات العنف الديني السُنّي «آلياته ومنطلقاته» ..... **٣٥٣ – ٣٧٤**
الباحث/ صبحي عبد العليم صبحي نايل

- **الدراسات الإعلامية:**

١٣- تسويق شعارات المتظاهرين عبر موقع الفيس بوك «دراسة تحليلية لشعارات ثورة تشرين» ..... **٣٧٧ – ٤٢٨**
أ.م.د. كريم مشط زلف & م.د. هدى عادل طه

١٤- المعالجات الإخراجية لاغتراب شخصية الطفل السايكوباتي في الخطاب المرئي ..... **٤٢٩ – ٤٦٠**
الباحثة/ وفاء سعدي صالح القيسي & الباحثة/ مروة شاكر رضا الشيباني

- **الدراسات الفنية:**

١٥- آليات توظيف اللغة الدرامية في أداء الممثل المسرحي: مسرحية (موت مواطن عنيد أنموذجًا) «دراسة تحليلية» ..... **٤٦٣ – ٤٩٤**
الباحثة/ هنادي صلاح عزت

١٦- المعالجات بالبديل الرقمي للمنظر في العرض المسرحي: مسرحية رسائل الحرية «أنموذجًا» ..... **٤٩٥ – ٥٣٠**
أ.م.د. عماد هادي عباس & أ.م.د. ثابت رسول جواد

تابع محتويات العدد ٦٩

عنــوان البحـــث	الصفحـــة

- **الدراسات اللغوية:**

17- Modelos literarios para la enseñanza de la lengua española en «la Universidad de Bagdad- Irak ……. 1-20
Aseel Irzooqui Waheeb
نماذج أدبية لتعليم اللغة الإسبانية في جامعة بغداد – العراق
د. أسيل إرزوقي وهيب

18- The Critical Components Of Developing English Language Curriculum …… 21 - 32
Sarab S. Yousif AL-Akraa
الباحثة/ سراب يوسف الأكرع

التدوينية ما بعد الشفاهية والكتابية

الباحث/ عمر فاروق محمد

باحث دكتوراه بقسم الفنون المسرحية

فرع الأدب والنقد – كلية الفنون الجميلة

جامعة بغداد

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

قسم البحث مراحل التواصل الإنسان إلى ثلاث، إذ شكلت الحاجة إلى التواصل مع الآخر القاعدة الأساس لانطلاق المرحلة الأولى، التي تمثلت في الصوت محاكاة للطبيعة. مع استمرارية هذه المرحلة من التطور، حتى أخذت شكلها النهائي في الشفاهية، التي حولت الأصوات إلى رموز صوتية حققت عن طريقها الكلام، الذي شكل فيما بعد اللغة. لقد كانت الذاكرة العنصر الأساسي في التكوين والتطور لهذه المرحلة، إذ أسهمت في إنشاء بنياتها اللغوية التي حددت مجموعة من الصيغ والرواسم تساعدها على حفظ اللغة، واستعادتها عند الحاجة إليها داخل حركية آليات التواصل الشفاهي. أما المرحلة الثانية التي خرجت من رحم الشفاهية، ومن القاعدة الأساسية التي أوجدتها وهي الحاجة. سميت بالكتابية التي حولت الرموز الصوتية إلى رموز صورية، تعتمد الأثر المكتوب ذاكرة لها. حققت هذه المرحلة تطورًا كبيرًا في المعرفة والإدراك والعلوم. صنفت الشفاهية والكتابية مرحلتين للتمييز بينهما فقط، فهما في تجاذب وتنافر مستمر، تعززه ديناميكية حراكهما التفاعلية، وبالأخص عند دخولهما الفضاء الافتراضي وعالمه الرقمي في المرحلة التدوينية؛ إذ شكلت هذه الأخيرة– التدوينية– المرحلة الثالثة للتواصل، والتي أسهم في تكوينها تطور الصناعة التكنولوجية والصناعة الثقافية، لذا هي أصبحت ضرورة تكاملية مع الإنسان في تواصله مع العالم الجديد، عالم الإنترنت وأبجديتها الرقمية.

Abstract:

The research is divided into four axes, the first of which is the preamble which deals with the term blogging and identifies its uses as a single, but as a term, it is inclusive of those uses within the limits of its concept. The introduction also reviews Hegel's historical dialectic of ascension, by presenting the laws of his dialectical philosophy: the law of association, which is all related to everything. And the law of development, everything is in a state of permanent and continuous development. The third law of ascension is the law of negation of negation, that is, everything that bears the seeds of its death within it, it is it, and it is not it.

As for the remaining three axes, they formulate the process of revealing blogging as a convention. The human communication stages were divided into three, as the need to communicate with the other formed the basis for the launch of the first stage, which was represented by sound simulating nature. With the continuation of this stage of development, until it took its final form in the word of mouth, which transformed the sounds into phoneme symbols through which they achieved speech, which later formed the language, through which the communication process takes place, as it succeeded as the best means of communication, as well as to present ideas, so These societies were acting, thinking and interacting in an oral manner. Memory is the main element in the formation and development of this stage, as it contributed to the establishment of its linguistic structures that defined a set of formulas and graphs that help them memorize the language and restore it when needed within the kinetics of oral communication mechanisms. The oral culture has lost many of its intellectual and literary effects, due to the lack of texts that can be referred to, so it was necessary for the oral approach to a new idea by which language (verbal images) turns to writing (symbolic images).

المقدمة:

افتتح الفضاء الافتراضي جملة من النوافذ المعلوماتية متعددة الأشكال، بعدما كان يهمين على الوصول إلى المعلومة طريق واحد فقط، وهو الكتاب، إذ أصبحت جميع الاهتمامات لمختلف الثقافات المشكلة من حضارات قديمة وحديثة داخل شبكة سهلت عملية التواصل اللحظي. بعد التطور الكبير في تكوين العالم الرقمي، الذي كان حكرًا على قطاع الأعمال ضمن ما يعرف اليوم بالبريد الإلكتروني، لذا هو يواكب اليوم التحول العلمي الذي غادر العالم الحتمي إلى العالم الاحتمالي الذي تحول إلى ضرورة، أو روتين يومي، سهل دخول عصر المدونات الإلكترونية التي تمنح مساحة من التعبير الفضائي بسيطة الاستخدام، الامتلاك، واللامحدودية لكل فرد. فيرى العالم الأمريكي (نيكولاس نيغرو بونتي) أن التغيير الجديد والثوري، هو هيمنة البينة الضوئية على العالم الذي غادر الذرة المادية، وهذا التحول في تطور مستمر وسريع ومن المستحيل إيقافه أو مواجهته.

يقدم الفضاء الافتراضي المساحة، الحرية، وقنوات التواصل؛ إذ أسهمت هذه العناصر بشكل أو بآخر في إنشاء صفحات شخصية أو اجتماعية، منفردة أو داخل برامج التواصل، تحاول الوصول إلى أدق وأبسط مفردات ومفصليات المدون، مثالا الحياتية، ومنها: الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية. والفكرية من حيث المعتقد، الفلسفة، والإيمان. وكذلك النفسية في الفطرة، الرغبة، والعاطفة. لذا وسعت آفاق التواصل لتضيف إلى التدوين الكتابي، التدوين الصوتي، التدوين الصوري الفوتوغرافي والفيديوي. العالم الافتراضي يفتح أبوابه لكل فرد، بمختلف الأعمار، والقدرات التعليمية، والتوجهات الفكرية والوظيفية، والانتماءات العرقية، في الدخول إلى هذا العالم، ودخول العالم إليه. إذ تحولت تلك المساحات إلى صفحات أو لوحات للإعلان، أو اتخذت شكل صحف مجانية، تبث جميع التفاصيل المهمة وغير المهمة، الخاصة والعامة، وحتى بعض الأخبار أو الأحداث التي تمتنع القنوات الإعلامية والثقافية عن بثها، فإنها صارت تتصدر تلك الصفحات، بعد

أن أصبح كل شيء مباحًا خلف أسماء مستعارة، وغياب سلطة مقص الرقيب، وتحطم جميع قيود ردود الأفعال الدينية، الفكرية، والاجتماعية. لذا نرى في هذه الصفحات المرآة التي ينكشف أمامها جزءًا تلو الآخر من شخصية المدون، واهتماماته؛ لأن كل ما يدخل إلى هذه المنظومة يخضع لعمليات تسجيل، تحليل، إحصاء، وفرز، ضمن نسب للمقارنة، التأكيد، التكرار، والاختلاف، وهي بالأساس– أي تلك العمليات– تخضع لنظام رقمي خاص كالنظام العشري.

رافق توسع الفضاء الافتراضي مرحلة الـ (ما بعد)، التي قدمت للفكر، والأدب، والفنون، مفاهيم متجددة وأخرى مختلفة، إذ تمركز الفرد منطق تلك المرحلة، فاختلف دوره الوظيفي، فتشيد اليومي، الإنساني، وعدم الحسم للهروب من القراءة الأيديولوجية، إلى القراءة التي تنسجم مع المتغيرات لما هو سائد لرؤية المرحلة، لذا من الضروري التعرف على هذه المرحلة، والكشف عن فلسفتها التكوينية، وآلياتها الاشتغالية، وتسليط الضوء على علاقاتها التركيبية في التفاعل، والوصول إلى معرفة واضحة لحقيقتها الموضوعية.

M.E.R.C
ISSN 2536-9504

تمهيد:

يلاحظ أن استخدام مصطلح (التدوينية) اقتصر في التعبير عن معناها اللغوي المرتبط بالفعل (دوَّن)، إذ تأخذ (التدوينية) أشكالا تقترب من الأصل (الكتابة). فالتدوين هو صورة للكتابة أو كل ما يرتبط بها، الكلام، الصور، التأسيس، الإنشاء، التجميع، والترتيب، أي دوَّن مذكراته: كتبها، وهي إعادة للصور والأحداث اليومية، ودوَّن الدواوين: أسسها وأنشأها، ودوَّن الشاعر ديوانه: وضعه وجمعه، أي بمعنى حوَّل صوره الشعرية إلى جمل حرفية يمكن قراءتها والعودة إليها؛ إذ إن (القصائد) سابقة الوجود قبل فعل التدوين(١). وجاء استخدامها في الآيات التدوينية، لتميز الآيات بين التدوينية والتكوينية؛ لأن كلمة آية في بعض الأحيان تأتي بمعنى مرتبة فقهية، وجاء معنى الآيات التدوينية، الآيات المكتوبة وهي دلالة إلى القرآن الكريم. وجاء أيضًا في، "محكمة تدوينيّة: (القانون) محكمة تستند كافّة إجراءاتها وأحكامها إلى سجلاَّت رسميَّة دائمة"(٢). وكذلك استخدمت في مصطلح الآلة التدوينية، للتمييز بين آليات التواصل التي جاءت في كتاب (الكتابة والتكنولوجيا)، وهي: الآلة الشفاهية، الآلة التدوينية، الآلة الأدائية، والآلة التكنولوجية؛ إذ عرفت الآلة التدوينية بأنها: هي الاستمرارية "من بداية معرفة الإنسان بالكتابة التصويرية على الأجسام المسطحة حتى الورق المستخدم في آلات الطباعة"(٣). ونرى أيضًا ورود كلمة التدوينية مرافقة لبعض الكلمات للإشارة إلى المدونة الإلكترونية، فمثلا: الحركة التدوينية، الصحافة التدوينية، وحوليات تدوينية وهي تجربة كتابة مئة تدوينة، بينما (التدوينية) اصطلاحا هي مرحلة تشكل (المدونة) جزءًا منها.

تشكل التدوينية ثمرة جدلية الشفاهية والكتابية. وبحسب تصور (هيجل) لفلسفته الجدلية للتاريخ، بأن بداية كل فكرة تكون على الأرجح بسيطة ومجردة، لكن في حالة استقرارها تبدأ بالتطور والسماح لطاقة إمكانياتها الذاتية الكامنة فيها بالتحرك نحو المستقبل، والانتقال إلى العوالم المجاورة الموضوعية والواقعية الخارجة عنها. "إذ

هي تتخارج، لا تزيد على أن تتعرف على كوامنها من أجل صيغة أكمل لوجودها"[٤]. وعلى هذا الأساس، وضع (هيجل) قوانين لفلسفته الجدلية، لأن الفكرة البسيطة المجردة في المستقبل تصبح ذات شأن يسمح لها بأن تتفق أو تتعارض لتختلف مع الأفكار التي سبقتها في ذلك الشأن. لذا هي تخضع لقانون الارتباط، وهو كل شيء مرتبط بكل شيء، وكذلك قانون التطور، فكل شيء في حالة تطور دائم ومستمر؛ لأن بذور هذه الفكرة لم تأتِ من العدم، وإنما هناك حاجة جعلت من تطور سابقاتها أن تدفع بذورها في تكوين فكرة جديدة ترتفع بها لتقويم المسار وسد الحاجة الحالية والانتقال إلى المرحلة التالية من التطور، وهذا ما أطلق عليه (هيجل) تسمية (الارتقاء). وبهذا تكون الفكرة خاضعة للقانون الثالث، وهو قانون نفي النفي، أي إن كل شيء يحمل بذور فنائه في داخله، فهو هو وهو ليس هو.

الشفاهية:

دفعت حاجة التجمعات البشرية الأولى إلى آلية للتواصل، فما كان من الفكرة إلا إن تبحث عن طريقة لذلك، فكانت الصور بالإشارة بداية، لتحل بعد ذلك الأصوات، ومن ثم انتقلت الفكرة إلى المستوى التالي والارتقاء بالتواصل إلى الصور اللفظية، لتشكل فيما بعد الثقافة الشفاهية، الآلية التي بدأت تصوغ المفردات وفقا للحاجة البشرية. الشفاهية الأولى، أو كما يسميها (والتر ج. اونج): "الشفاهية الأولية"[٥]، هي لغة التواصل الشفاهي بعيدًا عن استخدام الكتابة لمجتمعات كاملة، التي حددت شكل اللغة الذي يتناسب مع استخداماتها وهويتها، وهذا التشكيل يفترض بانه ناشئ عن وعي معين، بالإمكان عن طريقه التعبير عنه به. إن الثقافة الشفاهية تعتمد أولا على طبيعة الصوت، وثانيًا الإحساس به، وكلاهما يكونان علاقة مع الزمن، فعلاقة الصوت بالزمن سريعة الزوال؛ إذ لا يوجد الصوت بعد الانتهاء من وجوده، فيكون الإحساس به مشابها لصفة الوجود، لذا يتطلب من العقل أن يكون قريبا من بؤرة الخطاب ليحقق الانتباه ويحافظ على الخط التواصلي بين المتحدث

والمصغي– المخاطب– واحد أو أكثر، فليس من المنطق أن يتحدث الإنسان إلى نفسه شفاهيًّا، وإن فعل، فليس هناك عملية تواصل. وبالإضافة إلى اعتماد الثقافة الشفاهية على طبيعة الصوت والإحساس به، وميل العقل إلى التفكير المطول، نجد أيضا الصيغ والإيقاع في الخطاب الاعتيادي أو في شكله الشعري، الذي يساعد الذاكرة فسيولوجيا والتي بدورها تمنح العقل فسحة من التأمل. فهي تبحث عن طريقة تساعده في تعميق ذلك الوجود والتفاعل مع الإحساس بواسطة الاستدعاء والتذكر. إذ "تساعد الصيغ الحديث الإيقاعي على التحقق، كما تقوم بوظيفة العوامل المساعدة للتذكر أيضًا ومن ثم تدور التعبيرات الجاهزة على أفواه الجميع وآذانهم"(٦).

إن جميع آليات التواصل يكون للذاكرة دور مهم في تكوينها وتطورها، لكن في الثقافة الشفاهية الذاكرة عنصر أساسي وفعال لاستمرار التواصل؛ لأن البنيات التي أنتجتها هذه الثقافة حركية لفظية تتشكل عن طريق الاستخدام الذي يعتمد على الاقتصاد في الإنشاء، والصيغ أو الرواسم المساعدة على التذكر، التي كان يفضلها الإغريق في العصر الهومري؛ إذ "شغفوا بالرواسم؛ لأن عالم الفكر الشفاهي كله وليس الشعراء وحدهم كان يعتمد عل الفكر القائم على الصيغ ففي. الثقافة الشفاهية، ينبغي للمعرفة أن تكرر باستمرار، بمجرد أن تكتسب، وإلا فقدت"(٧). فمن المسائل المهمة في الثقافة الشفاهية البحث عن وسيلة لتقوية الذاكرة، فما كان من الصيغ إلا أن تكون في جميع أشكال التعبير والتفكير في كل كلمة ومفهوم؛ إذ تنظم ضمن تحديد الكيفية الجاهزة التي تعمل على ترتيب مواد الخبرة. فعند تحليل التعبيرات التقليدية لها، نجدها قد تشكلت في مراحل عبر الأجيال وتم جمعها وتخزينها داخل العقل وليس خارجًا عنه، لذا "قد صيغت هي نفسها على نحو قابل للحفظ والتذكر السهل، أو في أشكال أخرى حافزة للتذكر"(٨). لذلك فإن الوعي فيها يبدأ بالتذكر أساسًا ثم التفكير والتعبير. فعند ملاحظة التشكيل الكلي للمنجز الشفاهي، يكون من إبداع الشاعر، لكن التراكيب التي تشكله جاهزة أو سابقة الوجود بالنسبة لذلك المنجز. فمخيلة الشاعر تستطيع أن تحول

ما يفكر به الآخرون، إلى منجز إبداعي يحمل ذلك الفكر بصيغ وأشكال غاية في الجودة. إذ نجد عند قراءة (الإلياذة، والأوديسة)، أن "لغة هاتين الملحمتين لم تكن هي اليونانية التي يتكلم بها الناس في الحياة اليومية، بل كانت لغة تشكلت على يد الشعراء بالاستعمال جيلا بعد جيل"(٩). إن العبارات الجاهزة لا تأتي مصادفة في الثقافة الشفاهية؛ لأن الفكر يتكون منها، فهي دائمًا ما تكون حاضرة في تشكيل مادته في أي صورة كانت. فعن طريقها يفكر العقل الشفاهي بالكليات منذ العصر الهومري في الثقافة اليونانية حتى يومنا هذا، فهو يعتمد على مهارة الاستخدام كلما كان أكثر تعقيدًا.

شكل الصوت المنطوق اللغة، التي عن طريقها تتم عملية الاتصال؛ إذ نجحت بكونها الوسيلة الأمثل ليس للتواصل حسب، وإنما لعرض الأفكار، التي ارتبطت هي الأخرى بالصوت. لذا نجد أن التعبير والفكر في الثقافة الشفاهية الذي يعتمد على الصيغ والرواسم ممتد في اللاوعي وكذلك الوعي. إن اللغة هي ظاهرة لا تزامنية (دايكرونية)، أما الكلام فهو ظاهرة تزامنية (سينكرونية)، الذي شكل أساس التواصل في المجتمعات ما قبل التاريخ، وشكل أيضًا البيئة التي طورت اللغة والتعبير(١٠). وبما أن التعبير عبارة عن فعل الصوت والفكر، إذن تصبح اللغة عند الشعوب الشفاهية علامات للفعل والفكر. إن التحولات التحليلية للصوت الذي هو عبارة عن لغة وفكر، واللغة هي تعبير وفكر، والتعبير هو فعل وفكر، والفكر يمكن أن يكون بوعي أو بدونه، أي إما أن يكون موضوعيًّا وإما حسيًّا، بذلك نجد أن الصوت الشفاهي حيوي في تحولاته وشكله، ومما جعل للأسطورة مكانة عظيمة وقوية في المجتمع الشفاهي، "هذا يعني أن تلك المجتمعات إنما كانت تتصرف وتفكر وتتفاعل بطريقة شفاهية"(١١). إذ تنظر إلى الكلمات بأنها تمتلك من التأثير ما يجعلها تصل إلى تحديد مصير الإنسان ووجودها بها، وقد ارتبط هذا التأثير بشكل مباشر على الأقل في اللاوعي، أي إحساسهم بقوة تلك الكلمات، وإنها تهب الأشياء سحرية وسلطة، وبالتحديد الأسماء التي يطلقونها على أنفسهم، وكذلك المحيط الذي يوجدون

فيه، لذا فإن العلاقة ما بين الثقافة الشفاهية وعصرها ترتبط بالذاكرة والعقل في تحديد مكونها الزمني للهوية، فهي ليست مجرد كلمات وأصوات، وكذلك هي ليست أنماط تعبير فقط، إنما هي أيضًا ترتبط بحاضرها الآني وإسقاطه على الماضي، فهي تمثل العمليات الفكرية لعصرها الراهن(١٢).

تخضع الثقافة الشفاهية مثلها مثل المراحل الفكرية والتاريخية بحسب القانون الثالث لـ(هيجل)، إلى نفي النفي– أي إن كل شيء يحمل بذور فنائه في داخله، فهو يبحث عن السبل في تطوير ذاته وفقًا للحاجة، وفي الوقت نفسه يدفع بفكرة جديدة تنفصل عنه لتتقدم عليه بعد تطويرها لذاتها المنفصلة. وقد فقدت الثقافة الشفاهية العديد من آثارها الفكرية والأدبية؛ بسبب عدم وجود نصوص بالإمكان الرجوع إليها، لذا كان لابد من التوجه بالشفاهية نحو فكرة جديدة تتحول عن طريقها اللغة– الصور اللفظية، إلى صور رمزية– الكتابة، كي تحفظ للمفكر آثاره الفكرية، وكذلك يكون هناك نتاج فكري أو أدبي موضوعي خارج عنه، ويمكن عن طريق هذا الإنتاج الخطي الرجوع إليه ومعرفة قصديته وأسلوبه ورد تلك الآثار إلى مرجعياتها الفكرية؛ لأن الثقافة الشفاهية التي تم رصدها ودراستها في العصر الحديث مكتوبة في سردها للأحداث، وتم تحديد انتمائها للثقافة الشفاهية عن طريق استعمالها للصيغ الجاهزة والتكرارات في رواية الوقائع، أي إنها لا تمتلك خط سير للرصد، ورصدها تم عن طريق الكتابية(١٣).

الكتابية:

على الرغم من إمكانية أن تصنف الكتابة بالثانوية، لاعتمادها على ما كان سابقًا لها وهي اللغة، "فالتعبير الشفاهي يمكن أن يوجد، بل وجد في معظم الأحيان دون أي كتابة على الإطلاق، أما الكتابة فلم توجد قط دون الشفاهية"، إذ انبثقت في صورتها من الثقافة الشفاهية، ولكنها كانت ولا تزال من أخطر المهارات العقلية البشرية في ابتكار تكنولوجيا تعمل بأساليب ومفاهيم جديدة وخارجة عن المألوف، في تطوير احتياجات العصر، وإيجاد الحلول لمشكلات الثقافة السائدة. إن الكتابة لم تكن

تابعة للشفاهية والكلام، بل بتحريكها الأخير من العالم الواقعي (الشفاهي– السمعي)، إلى عالم الممكن الحسي، لذا شكل هذا التحول الفكر الجديد، الذي استبدل بالآليات القديمة للتواصل أسلوبه الخاص بالتخزين عن طريق النص، وهذا بدوره منح العقل الحرية في إيجاد أفكار أصيلة ومجردة، بعيدا عن الصيغ الجاهزة التي تدعم آلية التذكر. وهذا ما ذهب إليه (هافلوك) الذي كان "يؤمن بأن الكتابة أسهمت في تغيير أنماط التنظيم الاجتماعي، وفي نوع من الوعي الجديد باللغة والعقل"(١٤)، حين بيَّن رفض أفلاطون لوجود الشعراء في جمهوريته الفاضلة، بأن ملكته العقلية كتابية وان لم يكن على وعي منه بذلك؛ لأنه حين رفض الكتابة سجل اعتراضه مكتوبا إيمانا منه بامتلاكها قوة في التأثير، وكذلك كان يؤيد الشكل ويعتقد بأهميته، إذ أعطى للحدود الهندسية من دوائر وزوايا وخطوط مستقيمة قيمة في حكمه الجمالي. ونرى كذلك أن عالم المُثُل لديه كان يرتكز على الصورة المجردة المتعالية والمتجاوزة للواقع الإنساني، لذا يرفض الصيغ الجاهزة (الكليشيهات) التي فضل الجمهور اليوناني سماعها من الشعراء لما تحمله من إرضاء لأفق توقعهم، وتفاعل ديناميكي للذاكرة الجمعية في الوصول إلى الفكرة التي كانت تهيمن عليها الثقافة الشفاهية السائدة في ذلك العصر، "وبطبيعة الحال لم يكن أفلاطون على وعي كامل بالقوى غير الواعية، العاملة في نفسيته لإنتاج رد الفعل هذا، أو رد الفعل المفرط، تشخيص كتابي نحو شفاهية عفا عليها الزمان، ومازالت قائمة"(١٥)، مما جعله يميل إلى الرؤية الجديدة. فعند النظر إلى العقل بشكل موضوعي في استخدامه للأدوات وبما يحققه من إنجازات خارجة عنه، تكون الذات الداخلية جزءًا من تلك الإنجازات المتحققة. إذ تصبح الكتابة نفسها، طريقة التفكير للعقل، أي أن العقل عندما يفكر بشكل شفاهي يعتمد على الفكر الكتابي، لذا كان لاختراع الكتابة تأثير كبير في الوعي الإنساني وتحديد شكله وطريقة تفاعله. إن الفعل الواعي للعقل ما بين الكاتب والقارئ، والمعرفة الواضحة لقواعد الثقافة الكتابية، يمكن تحديد تأثيرها العميق على اللاوعي المحرك الأساسي لذلك الفعل في تواصله مع الكتابة.

يعتمد الكتابيون في دراستهم لأي معرفة على ما يمكن تذكره، لما يتوفر لهم من النصوص المكتوبة قديمة أم حديثة، فتشكل الخطاب التعريفي لتلك المعرفة. وبهذا تصبح الكلمات في الخطاب المكتوب بدل الصيغ الجاهزة في الخطاب الشفاهي عنصرًا رئيسًا يساعد الذاكرة على التذكر. وإن التمثيل الحضوري للكلمات بذاتها البصرية مرتبطة بوجود الكتابة، تلك الذات التي يمكن عدها داخل العقل الواعي منه واللاوعي بـ "أنها أصوات، تستطيع أن (تستعيدها) مرة أخرى أو (تتذكرها) بمعنى إعادة استدعائها"(١٦)؛ لأن الصوت الذي حمل الإشارات وتمكن من تطوير البنيات الشفاهية المعقدة، ومن ثم إمكانية تسجيلها مرئيا، جعل من معنى الكتابة، إنتاج شفرات بصرية تمثلت بالكلمات، التي تتحول عند استعادتها إلى أصوات. فالكلمات تمتلك حالة مغايرة تمامًا عندما تكون داخل نص ما، عن كونها جزءًا من الخطاب الشفاهي (المنطوق)، وعلى الرغم من ذلك الاختلاف لكنها تبقى مرتبطة بالصوت، إذ يتكون معنى الكلمات عن طريق الاتصال بين الشكل الظاهري أو التمثيل الصوري في الذهن بالصوت، أي هي الفونيمات، مجموعة الجزيئات التي تشكله، وبعدها تتحول تلك الجزيئات إلى مجموعة رموز. لذا تبقى الكلمات منفصلة بذاتها عن السياق في النص، وتبرز إلى الوجود وتحقق ذاتها فيه عندما تكون منطوقة. هذا ما منح الكتابة التفوق على الكلام في تسجيلها المرئي وإنتاج الإشارات الواضحة كثيرًا في البنيات الكتابية واهتمامها الكبير بالخطاب من الناحية التركيبية والتنظيمية، مقابل الخطاب الشفاهي وبنياته التي تتشكل عن طريق التطبيق الفعلي المرتبط براحة المتكلم. لقد طورت الكتابية القواعد النحوية بشكل أكثر دقة مما قدمته الشفاهية، فكان الخطاب المكتوب أكثر ثباتًا من الخطاب الشفاهي، وذلك لارتباط المعنى في الخطاب المكتوب بالبنية اللغوية. بينما يبتعد في وجوده عن السياقات التي تميزت بها الشفاهية في تحديد معناها، التي تبتعد هي الأخرى عن تلك القواعد النحوية بشكل شبه مستقل أمام النظم التي أسهمت في تحديد الكتابية ووجودها.

تميل الكتابة كونها نشاطًا، إلى الهيمنة على الأشياء الأخرى والاستحواذ عليها وجعلها جزءًا من ذاتها. إذ لابد لهذا النشاط مما يقابله من نظام؛ لأنه غير طبيعي مثل الشفاهية الفاعلة لدى جميع الكائنات البشرية، فإن كل واحد منهم بإمكانه أن يتعلم اللغة والكلام، إلا إذا لم يكن سليما من الناحية النفسية أو الفسيولوجية. لذا أوجدت الكتابية النظام الذي يحقق وجودها في الأبجدية، وهو نظام محكم، لكنه في الوقت نفسه غير كامل تمامًا، فهناك حالات في سياقها يجب أن ترتبط بأكثر من نظام، فضلا عن سياق النص لتحقق ذاتها، مما يجعل صفة الكمال التام تنتفي عنها. ويمكن الإفادة مما سبق في تحديد فهم وماهية الكتابة– نظام الأبجدية – كونها تكنولوجيا مصطنعة، وأن الشفاهية هي ماضيها ومادتها الطبيعية التي نشأت عنها، لذا فإن الأبجدية هي الجسر الرابط ما بين الماضي والحاضر، ما بين الذاكرة الشفاهية والذاكرات الجديدة التي شكلتها الكتابية. إن نظام الحروف المتوالية التي أوجدتها الكتابية حفظت للحرف الشفاهي صورته البصرية، التي سمحت في استدعائه عندما تقتضي الحاجة لاستخدامه في مختلف الميادين الواسعة، وعلى كافة الأصعدة. هذا ما مكن الكتابية من تحقيق تطورها التدريجي، الذي كان في الغالب يعتمد بداية على مساعدة الذاكرة، والضرورة التي تحتمها الحياة بأشكالها المختلفة وتفاعل المجاميع– الكائنات البشرية – مع محيطها وكذلك مع بعضها بعضا؛ إذ جعلت من الكتابة شفرات مرئية تمتلك في سلوكها ما يخصها من المعنى المرتبط بإحساسها نحو الضرورة البيولوجية، فأصبحت في موطنها ينظر إليها بأنها تمتلك من القوة الكامنة التي تمكنها من اختراق الواقع والدخول إلى عالم الممكن في بحثها عن مواطن سحرية. لذا كان للسرد القصصي كما للأسطورة في الشفاهية، دور في تطوير الكتابة ضمن إطارها التدريجي، التي أحرزت تقدما في تفعيل الدينامية النفسية داخل محيطها التفاعلي والإحساس بأبعاد معانيها، لذا فإن " الكتابية تعد ظرفًا اجتماعيًّا وحالة للعقل معا، لها مستوياتها الخاصة من حيث اللغة والمعرفة التي يمكن التعبير عنها بالكتابة"(١٧).

تمكنت الكلمات أو النص، وهي الأثر للكتابة، من تفعيل التواصل بين الأفراد في عرض الأفكار وبحثها، ومناقشة ما يشغل وسطها المعيش. فالبيئة تعد المصدر الرئيس للتأثير والتأثر، ولا سيما ما قدمته الكتابة أو الطباعة من إعادة تشكيل الفكر والتحول من الشفاهية إلى الكتابية. إذ إن الكلمات القائمة على صفحات الكتب والنصوص يمكن أن تعد من الأشياء أو الأشكال التي تفقد العديد من سماتها، طبيعتها الصوتية مثلا، وكذلك قوتها وسحرها، وفي بعض الأحيان تعد ميتة، منفصلة بذاتها، وغير مرتبطة بسياقها الواردة فيه. لكنها من ناحية ثانية، تؤكد وجودها الإنساني في ثبات صورتها المرئية، وإمكانية أن تبعث ضمن سياقات جديدة، عن طريق العديد من القراءات الحية والدينامية، المعززة لبقائها وقدرتها في تطوير الفكر والخيال والعمل على بناء العالم الإنساني. لذا أسست خطا من الفكر خارج العقل، يمكن العودة إليه بشكل انتقائي ضمن سياقات تمكنها من البروز. أي إنها من الممكن أن تتعامل عن بعد بما يتصل بالإنسانية، ويمكن أيضا أن تفقدها طبيعتها، فهي تحاول الوصول إلى "المعرفة على مبعدة من التجربة اليومية المعيشة"[١٨]، وباتجاه مغاير للثقافة الشفاهية التي " تصوغ كل معارفها وتتكلم عنها بشكل يجعلها وثيقة الصلة بالحياة الإنسانية المألوفة والمباشرة"[١٩].

اتسمت الكتابية بثباتها بالوقوف ندًا للشفاهية التي هيأت لوجودها، فكان من علامات الصدام، تحول مجتمعات بالكامل نحو الكتابية واستيعاب أبعادها والعمل على وفق نظمها– الأبجدية– فشكل هذا التحول انطلاق مرحلة تاريخية جديدة. وعلى الرغم من المنجز الكبير والإنساني للشفاهية، الثقافة المليئة بالقوة والجمال في أداءاتها، وقيمتها الفنية والإنسانية، فإن لهذه المرحلة الثقافية في عصر الثقافة الكتابية لا يمكن أن توجد بمعزل عنها، ربما يتقاطعان، لكنهما تخاطب إحداها الأخرى، وبما إن راهنية ذلك العصر للكتابية، فإنها بكل تأكيد تستحوذ على ملكات النفس البشرية[٢٠]. إن توسع العلوم والذهاب نحو تخصصات دقيقة حال دون الاكتفاء

بالشفاهية؛ لأنها هي نفسها تحتاج في تحديد وجودها إلى العمل بالفكر الكتابي، للوصول إلى غايات عظيمة عجزت الشفاهية عن الوصول إليها، فكان لإنجازاته التي اتسمت بإبداعات جديدة حاول عن طريقها تقديم الشكل الأكمل للحضارة، والضرورة الآنية للعصر الذي أصبحت الكتابة العنوان الأكبر لهويته الإنسانية في طرائق تحصيل العلم والمعرفة والتعبير عنها. لذا "تحتاج الشفاهية أن تنتهي إلى إنتاج الكتابة وهذا هو مصيرها. والكتابية تصبح ضرورة مطلقة من أجل تطور العالم"(٢١).

التدوينية:

إن تطور التكنولوجيا والابتكارات التي ساعدت الإنسان على إنجاز مهامه في الحياة اليومية، أصبحت ضرورة تكاملية معه، ولا سيما في مجال التواصل بتقديم خيارات جديدة ومتعددة لطريقة استخدامها وعرضها المضامين السمعية والبصرية. تمثلت هذه الخيارات بما أطلق عليه (والتر ج. اونج) بأنها (الشفاهية الثانوية) التي ارتبطت بالتكنولوجيا الحديثة، فعملت معها على تغيير ثقافات العصر في وقتها الراهن وتطلعاتها المستقبلية. انطلقت الشفاهية الجديدة عن طريق الهاتف، الراديو، التلفاز، والحاسوب؛ إذ عمل الأخير على التحقق الوظيفي لها ووجودها بممارسة أدائها الشفاهي والكتابي في التواصل. وإن دخولها عالم شبكة الإنترنت الذي أصبح مركزية العالم الجديد، لما يمتلكه من المرونة والقدرة على التكيف وإعادة التنظيم لنفسه في عمليات التواصل وإنشاء مجتمع معلوماتي يتمتع بإمكانيات ذاتية ومتعددة في المعالجة والانتقال إلى مستويات متقدمة، تسهم باتجاه تشكيل مجتمعات مغايرة بطبيعتها لما سبقها في أنماط حياتها. لذا تعد الثورة الصناعية الثالثة، بعد الآلة البخارية المتمثلة بالقطارات وسكك الحديد، والثانية اكتشاف النفط والكهرباء، الثورة المعلوماتية، الاقتصاد الجديد الذي سيغير شكل التواصل في إنتاجه الثقافي، لتكون المرحلة الثالثة من التواصل بعد الشفاهية والكتابية اللتين ارتبطتا بالحاجة الاجتماعية، المرتبطة أصلًا بالحاجة الاقتصادية والاجتماعية معًا. إن الثورات الصناعية الثلاثة بحسب المؤرخ الفرنسي

(كارون) صارت "لديها سمات مشتركة، ففي كل مرة نلاحظ ظهور شبكات موسعة (سكة الحديد، والكهرباء، والإنترنت) مع ظهور شخصيات مبتكرة (جيمس وات وآلته البخارية، توماس أديسون وإمبراطوريته الصناعية، بيل غيتس مع ميكروسوفت)" [٢٢]. يفرض توسع شبكات الإنترنت بالضرورة نوعًا من التطور، عن طريق سمة التفاعلية، وسرعة انتشار المعلومات؛ إذ شكل المجال الافتراضي مع الزمن علاقات جديدة ممتدة بخطوط أفقية بين الأشخاص الذين استغلوا المجانية والعمل بثقافة التعاون، وتقاسم المهام في تعددية العوالم. لذا حققت مركزية الشبكة جملة من الابتكارات، والإبداع، وفضاء من الحرية واستقلال الشخصية الفردية، وتقديم الوسائل الواسعة للإمكانيات البصرية، والسمعية بمختلف أشكالها (الصور، الأصوات، وما أنتجته الكتابة). إن "الأيديولوجية المحررة من طرف الرقمي تطابق، على ما يبدو، في كل النقاط فترة ما بعد الحداثة... لقد أصبحت عملية الربط أكثر أهمية من كل الأمور الأخرى، فثقافة العلاقة واستهلاك التجارب المعيشة فوق كل اعتبار"[٢٣].

سمح الانتشار الواسع للشبكة العنكبوتية للأشخاص الولوج إليها شريطة امتلاكهم جهاز حاسوب متصل بها، فيمنح مساحة تمكنه من عرض مدوناته، أو مدونات غيره، يرى ضرورة في عرضها عن طريق الرقمنة – وهي "من أهم إنجازات التكنولوجيا الرقمية للمعلومات، وتعني إسقاط الحواجز الفاصلة بين أنساق الرموز المختلفة من نصوص وأصوات وأنغام وصور ثابت ومتحركة، وتحويل هذه الأنساق إلى سلاسل رقمية قوامها الصفر والواحد، حتى تتواءم مع نظام الأعداد الثنائي أساس عمل الكمبيوتر"[٢٤]– إلى الجمهور الواسع الذي يضم عددًا من المجربين، والمختصين، في جميع المجالات المختلفة، فأضحت هذه الطريقة– الرقمنة– مصطلحًا يقود استخدامه العديد من المفردات اليومية لدلالات لغوية مختلفة، مثل: العصر الرقمي لمجتمع يعتمد الوسائل الرقمية، وساعدت على تشكيل ثقافة رقمية، بحكم التطور التكنولوجي الراهن الذي أوجد تكنولوجيا رقمية، أسهمت في تقدم العديد

من الميادين المختلفة، ومنها الاتصال والتواصل بجميع أشكالها السمعية والبصرية، لذا نرى في هذا المصطلح قوة جعلت منه حاضرًا في كثير من الرؤى والأفكار التي يقصدها، والتي شكلت ظواهر يمكن ملاحظتها ومن ثم دراستها. لقد غيرت البيئة– الرقمية– التي نعيش فيها تفكيرنا، وإعادة النظر بجميع التقاليد والعادات التي تم تبنيها في تشكيل مبادئنا الراسخة وقواعد العمل بها. إذ تكونت علاقات جديدة وآليات معقدة تتحكم بطرق البحث والتحليل، ترتكز على وحدات للقياس والمقارنة في تحديد المتغيرات المستمرة للعلوم والثقافة. لذا يعد النظام الرقمي– الرقمنة– قاعدة لها من الأهمية في تحديد الأبعاد التي تشكل الخيال الاجتماعي وفهم طرق التواصل الآنية. فقد ذكر العالم الفرنسي (جيرار بيري) [٢٥]، إن العالم اليوم أصبح خاضعًا للرقمنة بعد أن مر بتحولات أربعة أساسية. هي: التحول الأول، طريقة استقبال المعلومة ومعالجتها من دون التقيد بطبيعتها، بشكل مختلف وبعيدا عن الحدود التقليدية للعادات المتبعة لدينا ما بين الشكل والمضمون، العرض ودلالاته. فالرقمنة تكمن مثلا: في الأشرطة المغناطيسية، وما تحمله من صوت، وصور كتابية وحركية، تفكيكها وتأويلها وإعادة إنتاجها، يؤكد حصول تحول جديد في طرائق قراءة المنجز الثقافي. والتحول الثاني، ارتباط الحياة اليومية بالآلات والأدوات التي خلقت بيئة تفاعلية؛ إذ شكلت أجهزة البث الرقمي، البرامج الحاسوبية والتطور الإلكتروني نقطة تحول في تقديم وعرض المعلومة والاطلاع عليها والتعقيب الآني، وفي بعض الأحيان المباشر، لذا شكل هذا التحول زيادة في قوة الآلة إضافة لما حققته الآلة في التكنولوجية السابقة (التطور الصناعي)، فغيرت من أساليب عملنا وطريقة العيش، فحتمت علينا ضرورة مراقبة إصدارات ذلك البث بشكل مستمر، مادمنا كنا على اتصال بشبكة الإنترنت وبرامجها التفاعلية. والتحول الثالث، ظهور العلوم الجديدة التي رافقت التحولين الأول والثاني، مثل: البرمجية منها والتقنية، والوظيفية كالإعلام والأدب والفن في طرائق المعالجة للعرض والبث (النقل والإشارة). فيما يأتي التحول الرابع الناتج عن تطور المهارات وابتكار العديد من التطبيقات، التي تكونت عن طريق التقدم

الصناعي والاكتشاف التكنولوجي[٢٦]. إن الرقمنة التي ارتكزت على التحولات نحو الرقمية في تحققها على ما قدمته الإنسانية من جهود لأفرادها المبتكرين لنشاطات جديدة؛ على وفق أطر وقيم جديدة، إذ تحول الرمز في النظام الرقمي إلى نظام فكري، هو التواصل بين الفرد والآلة، ليحل بديلا للأبجدية في الكتابية، لذا فتح النظام الجديد (المعلوماتي) الأفق أمام حضارة جديدة، تمتلك من التفكير والتصرف والعادات المغايرة لما سبقها من نظم للتواصل؛ إذ تنتقل المعلومة في فضاء العصر الرقمي بحرية لتصبح أثرًا، فتشكل بعد ذلك المعطيات بحسب ما ترد فيه.

خلق الإنترنت تجمعات افتراضية تمتلك قدرًا كبيرًا من الحرية والانفتاح؛ إذ تكون المعلومة متوافرة بالحال، ومتاحة للجميع وبالمجان، وتكون الأشكال التشاركية الأصل فيها، عن طريق الربط الموسع لشبكته. لذا استطاع الأفراد المستخدمون والمستفيدون لما يقدمه من خدمات، اختراق مركزية الواقع الآني، وإنشاء مجتمعهم الخاص الذي تكون فيه العلاقات تعاونية، وعلى قدر من المساواة، لإبداء الرأي والمواجهة والتشكيك في جميع مفاصل الحياة، ومنها: السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية، رغبة في بلوغ الأفضلية، وفي إلغاء حواجز بيروقراطية للمؤسسات والتنظيمات، والتشديد على الديمقراطية في طريقة العيش. لقد اخترق الإنترنت ثوابت العالم الواقعي ليتقدم عليه بفرضيات جديدة استقرت في هيكله، فكان ظاهرة العصر، وهذا ما أكده الفيلسوف الفرنسي (بول ماتياس)، عندما ذكر: " الإنترنت سيكون إذًا المماثل المعلوماتي للآلة البخارية، وسيزودنا بفائض من القوة الإدراكية بينما يوسع أفق ممارستنا الاجتماعية والثقافية"[٢٧]. إحدى فرضيات الإنترنت الخدمة، والامتيازات التي تمنحها للمستخدمين، فهناك امتيازات اقتصادية تعمل على تطوير التبادل الفكري، المعرفي، والتجاري، ومن نتائجها تطوير العلوم وتوفير المعلومة، وتمكين تطلعات الجماهير نحو الحرية والديمقراطية وتعميمهما، وتوفير المال وازدهار الاقتصاد.

أما الفرضية الثانية، فهي (المجتمع الافتراضي) [٢٨]؛ لأن الافتراضي والرقمي

لا يعني أجهزة الحاسوب المحمولة واللوحية والهواتف فقط، إنما هناك بيئة رقمية معاشه تقدم البديل للواقع المسيطر بقيوده النافذة؛ إذ يقول بول ماتياس إن: "المعلومة هي الواقع وليست في داخل الواقع أو أمام الواقع أو بالقرب من الواقع أو في أثر الواقع. وقولنا (أنها الواقع) يعني أن تنظيم الحياة في مجموعها... كما لو أنه حقن بتدفقات من المعلومات لا تجعل منه مجرد أدوات بل عمارتها وحركتها الفعليتين... فالشبكات ليست في الواقع، بل هي الواقع الذي ينبجس على العكس عند ملتقى الشبكات"[٢٩]. وهناك فرضية أخرى، هي عدم ثبات المعلومة داخل شبكة الإنترنت واختلالها؛ إذ يمكن حذف المعلومة وإمكانية استعادتها، وكذلك إمكانية تكرار العملية في (الفضاء السايبري) [٣٠]؛ لأن الصورة الافتراضية بمختلف أشكالها، صورة خاضعة لنظام رقمي محسوب، وبالعودة العميقة لهذا النظام هو نظام الكتابة، أي إن هناك هيكلية تشكلها مجموعة من الأنظمة الرقمية، ظاهريا صورة قابلة للتعددية والتغير، وباطنيا تنظيم دقيق غير قابل للحياد، فتكون مصادرة المعلومة أو الكتابة واسترجاعها في محاولات لا نهائية وغير قابلة للتحديد، وبما أن المعلومة هي الواقع بحسب الفرضية الثانية، لذا تصبح هذه الحقيقة هي الواقع. وقد صرح بول ماتياس بشأن هذا الموضوع، بأن " الإنترنت عالم. لا عالم أشياء وآلات وأدوات بل عالم دلالات... الإنترنت عملية لا تنتهي من الكتابة الانتقالية والمتعددة"[٣١]. وكذلك هناك فرضية التنظيم الذاتي المستمر، وتمتلك هذه الفرضية بعدًا جوهريًّا في التجربة المعرفية للإنترنت، تبدأ مع كل كلمة تكتب على محرك البحث، ومع كل عملية قراءة للنصوص أو تصفح للصور. إن هذه العمليات تشكل إدخال الرموز النحوية أو السيميائية إلى الشبكة التي تعمل على تصنيفها وحفظها تبعًا لرمزيتها الرقمية، لذا فان عمليات البحث تلك، العشوائية منها وغير العشوائية، والمتباعدة منها والمتشابكة، هي التي ترفد الشبكة بالمعلومة والبيانات، وتسهم في تطويرها بعد أن تتم المعالجات من الشبكة نفسها؛ لأن "لغات الحاسوب الآلي لا تشبه اللغات الإنسانية أبدأ، من حيث إنها لا تنمو من اللاوعي، بل تنمو مباشر من الوعي"[٣٢].

إن المرحلة الجديدة للتواصل، مرحلة مرتبطة بالتفاعل ومرتكزة على الوسائط، ففي "هذا الفضاء يتواصل الإنسان والآلة: الإنسان– الحاسوب– الإنترنت)، في الميادين والمجالات شتى والنشاطات المتاحة للإنسان أن يتفاعل في نظمها ومؤسساتها الاجتماعية الطبيعية، وقد أصبح يتمظهر فيها بشكلها الرقمي الإلكتروني في مجتمع الإنترنت "[٣٣]، أذ يمكن للجميع الدخول إلى هذا الفضاء والتفاعل مع العديد مما يقدمه من الصور والفيديوهات، وقراءة الكتب والمقالات، وسماع الموسيقى، وأن يتحدث بطريقة عفوية يعبر بها ويتبادل مع الآخرين آراءه وانطباعاته ليشاركها مع أكبر قدر من الأفراد، وبإمكانية أن تتم عملية القراءة والسماع والحديث والتواصل مع الكل في آن واحد.

إشارة لما سبق إن عملية التواصل في هذه المرحلة تعتمد على طرفين لتحقيق المعادلة، الطرف الأول الإنسان والآلة (الرقمي)، والطرف الثاني الإنسان مع الإنسان (الافتراضي)؛ إذ تكون الذات الإنسانية هي نفسها في طرفي معادلة، وتمتلك أن تكون الطرفين في عملية التواصل، فلها حرية العرض والتعقيب، أي يمكن للكاتب أن يكون معقبًا على ما كتب بالتعديل أو التوضيح أو الحذف، وكذلك للقارئ حق التعليق أو الإضافة والتغيير أو تقديم نص جديد ينفي أو يثبت ما تم عرضه، الذي يعد عرضًا جديدًا. لذا فإن المرحلة الجديدة للتواصل " قد أعادت إلينا الآن مقولة (موت المؤلف) التي تنبأ بها ميشال فوكو منذ عام (١٩٦٧)، إذ باتت الحدود بين القراءة والكتابة تتقلص إلى حد أتيح مع ابتكار مصطلحي (القرا– كتابة) و(المؤلف– القارئ)" [٣٤]. لقد شكلت التكنولوجيا والفضاء السايبري مجتمعًا افتراضيًا يعد الإنترنت بيئة هذا المجتمع، الذي جعل من أفراده كونيين، إذ جعل من كوكب الأرض مجرد محطة صغيرة يستطيع الأفراد الجماعات إنشاء علاقات تبادلية قوية متينة تارة، وسريعة الزوال تارة أخرى، متأثر بالخصائص التي تفرضها البيئة الإنسانية والتكنولوجية الآلية.

غيرت شبكة الإنترنت الممارسات الاتصالية بأخرى جديدة تختلف عن الممارسات التقليدية، فكان من نتائجها التأثيرات السلبية والإيجابية التي غيرت شكل

الحياة بالنسبة للفرد والمجتمع، فظهرت مصطلحات جديدة، منها: (الفضاء السايبري)، (المجتمع الافتراضي)، وكذلك مصطلح الفضاء الإلكتروني، الذي قدمه كل من عالمي الاجتماع (فرانسيس جوريجبيبري)، و(سيرج برول) في مؤلفهما (الأنترنت، الفضاء المواطني الجديد)[٣٥]. إذ يرى هذان الباحثان في علم الاجتماع، أن المرحلة الجديدة للتواصل عبر الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية وتأثيراتها، تعد نشاطًا حقيقيًا وأصيلًا في مجاله التكويني، لذا فقد أثر في ثلاثة محاور رئيسة، هي: الأيديولوجيا، النسق الفكري، والتوجه الاعتقادي والعام في طبيعة سلوك الفرد لملء الفراغ، وأنماط التفاعل مع الآخرين، وفرص الفوائد الربحية من عوائد التواصل في تحقيق اشتراطات البرامج عبر الشبكة. ومحور الاندماج المرتبط بحاجة الفرد في الاكتشاف والتعرف على البيئة المحيطة وفهمها، وحبه للاستطلاع والسيطرة، عن طريق اللقاءات داخل المجتمع الافتراضي والتفاعل مع تلك البيئة في ترصين الثقة والمصداقية وانتمائه لها، لتمكين وجوده اجتماعيًّا، واقتصاديًّا. أما المحور الثالث، فهو الذاتية التي يبحث فيها الفرد على تأكيد هويته ووجوده كذات، والتي لا يمكن تحديدها اجتماعيًّا فقط، وإنما تمتلك مركزية خاصة، ومسارًا خاصًا يجعلاها عن الآخرين في قدرتها على التدوين، والنقاش، والتعليق، والتعبير، لإظهار ما هو مخفي ومتجاهل. ففي بعض الأحيان يكشف عن إحباطاتها ورغباتها، أو ربما يلتزم جانب الصمت والابتعاد للحفاظ على أصالة كينونته؛ لأن "الفرد نظام مفتوح، تحدد مجمل سلوكه ثلاثة عوامل، هي: اللسان الموروث (لسان جهازه)، ومجمل تاريخه الخاص (أفكاره، ذاكرته، وشخصيته)، والرسائل التي يحصل عليها من محيطه وردود أفعاله عليها"[٣٦]. إن ازدهار الإنترنت وفر مضامين واسعة للولوج إلى الشبكات الاجتماعية، وغير بشكل كبير محتويات الكتب والمؤلفات وطرائق تحميلها المجاني. وإن توسع الشبكات أسهم في انتشار المعلومة وسهل سبل أدائها.

ينافس التواصل الرقمي السوق من حيث آليات اشتغاله الجديدة، وممارساته

الثقافية الحديثة، بتفاعله اجتماعيًّا واقتصاديًّا؛ إذ تشكل هذه التحولات مؤشرًا لاقتصاد جديد (اقتصاد المعلومة) في تحليل الراهن ووصفه. وتعتبر مدرسة فرانكفورت[٣٧]، وتحديدًا هابرماس، وهو من الجيل الثاني للمدرسة والأكثر شهرة، "التكنولوجيا (كالأيديولوجيا) مقرونة بالعلم، والإنتاج الصناعي، والتكنوقراط الحكومية"[٣٨]. لذا من الضرورة التقارب ما بين تكنولوجيا التواصل الرقمي من جانب، والتوسع لتحركات الإعلام الجديد وتمويله من الجانب الآخر، أي التواصل من جانب والصناعات الثقافية من الجانب الثاني؛ لأن وجودنا مرتبط بجميع العوالم في الوقت نفسه. الذاتي، العملي، الاجتماعي، والسياسي، ولا يمكن لأي عالم منها أن يعطل عمل أو صناعة عالم آخر. لذا يمكن بحسب هابرماس وجود الترابط مابين الأفعال الأداتية والتفاعلات الاجتماعية، لأن كل ما يمثله الفعل الاستراتيجي، هو ذاته واحد من الأفعال الاجتماعية؛ فعندما نتحدث عن الأفعال التواصلية، التي تكون بعيدة عن الأنانية وحسابات النجاح، تكون أكثر تفاعلية ومنسقة بأفعال التفاهم والمشاركة ما بين الأشخاص[٣٩]. لقد أعطى الاقتصاد الجديد – اقتصاد المعلومة – قوة للنشاط البشري، والتعاون الجماعي، بعيدًا عن السلطة المركزية، إذ يعتمد على قدرة الفرد في تقديم المزيد من أجل تطوير الحركة داخل المجموعة بشكلها الحر، وجعلها منفتحة على العديد من المجاميع والتفاعل معها خارج إطار السوق التقليدية. لقد حملت الثورة الصناعية الثالثة معها أكثر العناصر والوسائل أهمية لعصب الأنشطة الاقتصادية، اقتصاد المعلومات المتاح في أيدي الجميع. لذا أصبحت أهمية دور الفرد أكبر من المركزية الاجتماعية والاقتصادية السابقة، وكذلك أوجد لنفسه تنظيمات ومجاميع ليس هدفها تجاريًّا، تدعمها التكنولوجيا الرقمية، عززت من استقلاليته ونشطت الحركة الإبداعية لديه، ومكنته من التواصل مع التجمعات الأخرى عبر العالم، في تفعيل المبادرات والتعاون فيما بينها. إن التكنولوجيا الرقمية وازدهار برامجها الحرة والمجانية في المجتمع الافتراضي، ضمن إطار شبكة الإنترنت وفضائها السايبري، هي التي منحت هذه الامتيازات والقدرة كلها للفرد.

ارتبطت المرحلة الجديدة بمحورين أساسيين، هما: المحور الاجتماعي (التواصل)، والمحور الاقتصادي (التسويق والتبادل). إذ تشكل الحرية والمجانية عنصرين مهمين لاستراتيجية تجارية تعتمد على التفاعل والمشاركة، لذا فإن المجتمع الافتراضي المرتبط بشبكة الإنترنت، أسهم بشكل كبير في تطوير تلك العلاقات التبادلية، ولا سيما علاقة التطبيع ما بين الصناعة التواصلية، والصناعة الثقافية، بحسب الرؤية الاستراتيجية، فهدفها يتمثل بانضمام اكبر عدد ممكن من المجاميع بعامة، والأفراد تحديدًا، إذ توجهت في تحديد وتحقيق رغباتهم، عن طريق تقنيات متعددة لجمع البيانات الخاصة والعامة وطرائق عيشهم، لذا مكنتها تلك المعلومات والمعطيات من تحديد وتصنيف الأفراد بحسب انتماءاتهم، فضلًا عن عدهم ضمن فئة المستهلكين (المتلقين)، "إن وسائل الاتصال تنشد، قبل أي شيء آخر، الربح. تود أن يباع كل شيء ويشرى كل شيء. لتصل إلى أهدافها، تجهد بتلبية رغبات (زبائنها)، تحاول، قبل أي شيء آخر أن (تعجب وتغري)" [٤٠]. إن الدخول إلى المواقع وتحميل المعلومات مؤشرات يتم اعتمادها، إذ نلحظ مؤشرًا لعدد الزيارات، فهناك ملفات داخل كل موقع تتابع المستخدمين وتحدد طبيعة وطريقة الاستخدام– أي الرغبة والعادة. لذا دفعت هذه الملفات الموجودة في محركات البحث السوق إلى منافسة في صناعة الأجهزة وتطوير شبكات التواصل والربط عن طريق الإنترنت. وهنا بدأ يتناقص الدور الذي تؤديه المؤسسات الكبيرة، والناشرون، ودور العرض السينمائي، والإنتاج الموسيقي، أمام ما فرضته الصناعة الجديدة في اشتراطاتها البسيطة، ومغرياتها بالحرية، المجانية، الانفتاح، والتعددية، فكان لزامًا على تلك المؤسسات إعادة النظر والتفكير في طريقة عملها وعرضها، لذا نجد أن هناك اليوم نوعين من التبادل عبر الإنترنت. الاجتماعي منه، والاقتصادي – أي ما هو مجاني وغير معروض للبيع، وما هو قابل للتداول في أسواقها. فقد أصبح " تعدد وسائل الاتصال، والشهرة التي نجحت في اكتسابها للتأثير على الناس وإيقاظ الرغبة فيهم لبعض المنتوجات

الاستهلاكية ولغرس بعض الأفكار، خاصة السياسية وطوباوية حقيقية، هذا وفق فليب بروتون، القائل: كلما اتصلنا، كان ذلك أفضل"[٤١].

يركز الاقتصاد الجديد– اقتصاد المعلومة– على التفاعل في تنشيط تحركات الأفراد داخل شبكة الإنترنت بشكلها الجماعي والفردي، إذ ينظر إلى الأفراد بأنهم مستهلكين ومسهمين في الإنتاج في الوقت نفسه، لذا هو يبحث في تعليقات المتصفحين ويتبنى توصياتهم، ليقدم ما يمكن أن يحقق مزيدا من علامات الإعجاب والمشاركة، فلم تعد للمضامين التقليدية، والعناوين المهمة، الأفضلية في تصدرها للثقافة الرقمية، مالم تنل إعجاب المتصفحين، الذي سيؤدي دور المحفز للتفاعل في اختيارها، وانتشارها، وهذا بمثابة الترويج والدعاية لها، ومن ثم احتمالية شرائها، أو تحميلها. لقد غير الفضاء السايبري وأبجديته الرقمية ومواقعه الافتراضية، التقاليد الاقتصادية والحسابية السائدة، وكذلك المنطق الوظيفي المعتاد، في تشكيل مشهد ثقافي جديد، يعتمد على إعادة النظر في طرق التوزيع، وأشكال المضامين. إن شبكة الإنترنت أسهمت بشكل فعال في سرعة تداول الأخبار، والصور والفيديوهات عبرها، والذي سمح لتلك المضامين بالانتقال بسرعة من الفرد إلى المجتمع الافتراضي، ومنه إلى العالم. وقد زاد الاهتمام المتزايد بالمستخدمين من "الاهتمام بنظرية الاستخدامات والإشباعات[٤٢]؛ وذلك لأنها تفترض أن الجمهور نشط في استخدام وسائل الإعلام، وأن هذه الخاصية متوافرة في تلك الوسائل عبر التفاعلية، ويعد جمهور الإعلام الجديد جمهورًا نشطًا في تفاعله مع ما ينشر من أخبار ومعلومات وإبداء رأيه بشأنها، واختياره للمضامين التي يرغب هو باستخدامها"[٤٣]. أطلق بعض المتخصصين على الاقتصاد الجديد (اقتصاد الاهتمام)، ويتابع هذا الاقتصاد التزايد المستمر في تحميل معلومات أو مواد بعينها من على شبكة الإنترنت، فتحقق تراكم كمي لذلك العرض المقدم، الذي يمكن عدُّه مؤشرًا لنجاحه، وضرورة الاعتراف بالعلاقات التي أنشأها مع الأفراد في تحقيق الثقة والمصداقية. إن المبدأ الذي يعتمد عليه استخدام هذه الآلية،

هو أن أهمية الإنتاج يتوقف على مؤشرات الاستهلاك، ولا يعتمد على أهمية المنتج نفسه، وأن كثرة تداوله ما بين الروابط والمواقع الافتراضية يحقق له نوعًا من الشهرة، إذ يمثل هذا التراكم رأسمالًا يمكن استغلاله، والاستفادة منه، بتوظيفه في بمجالات أخرى، مثل: الأزياء، والغناء، السينما، والمسرح. إن "مدى الاستفادة من الأدوات والتكنولوجيات مرهون ليس فقط بتواجدها، بل أيضًا مرهون بانتشارها وبالمضامين التي تحتويها، وكذا بتجذرها في منظومات القيم والرموز"(٤٤).

تبنت المرحلة الجديدة لما بعد الشفاهية والكتابية، ما بعد الحداثة النظرية والتطبيق في تحقيق كيانها الأصيل. وقد أُطلقت عليها تسميات عدة، منها: الرقمية، التفاعلية، الإلكترونية، الشبكية، الوسائط المتعددة أو التشعبية، والمعلوماتية. يمكن لتلك التسميات كلها اعتمادها، لكن لكل منها اهتمامه الخاص بما حدده مسبقا قبل إطلاقه لتلك التسمية. ويمكن أن تجمع تلك التسميات تحت مسمى واحد كما للشفاهية التي اعتمدت في تسميتها على الأداة، أي الشفتين وعدّ الصوت هو الناقل، وكذلك الكتابية التي اعتمدت في تسميتها على الكتابة وعدّ الأثر المكتوب هو الناقل. فان صح القول يمكن تسمية هذه المرحلة بالتدوينية اعتمادًا على المدونة، وهي المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت، شبكة ترابطية وتشعبية، تعمل على وفق الأنظمة الرقمية، ولها وسائط متعددة في نقل المعلومات، بأشكالها المختلفة المكتوبة، الصوتية، الصورية، والفيديوية، إذ تعتمد على التفاعلية والمشاركة في تأسيسها لمرحلة جديدة، في استخداماتها ولغتها، إن "ثقافة الوسائط المتعددة، أبجدية عصرنا الجديدة، تعزز رغبة الانغمار في عالم الشبكات من دون تراصف اجتماعي، حيث تكون معرفة الواقع والغير تحصيل حاصل. هذه رؤية عالم بلا بيروقراطية، عالم مجرد من طابعه الجماهيري ومتمركز على الفرد"(٤٥).

ينشط التمركز المتمحور حول الفرد في التدوينية بتأثير من شبكة الإنترنت وهدفها التفاعلي في التبادل المعلوماتي، الذي يجعلنا نعيش في عالم جديد افتراضي،

في عالم الإمكان بعيدًا عن الواقع– الحياة اليومية الطبيعية– لذا تعد شبكة " الإنترنت من الفضاءات النادرة، إن لم تكن الوحيدة، التي أتاحت للفرد التحرر من الكثير من الإكراهات الحياتية، ومكنته من التلاحم مع أوهامه وتهويماته وشطحاته، وهي بذلك يمكن أن تنتمي إلى ما يطلق عليه وينيكوت (فضاء الإمكان)" [٤٦]. لقد استطاعت التدوينية في تمحورها حول الفرد، أن تجعل من نفسها هامشا يقدم للفرد الصفحات البيض والهياكل التخطيطية عبر مواقعها الافتراضية– المدونات– تبحث في كيفية تلبية حاجات مستخدميها النفسية والاجتماعية والاقتصادية، إذ أنشأت لها عالمًا يتوسط الفضاء الداخلي، الرغبات والحاجات النفسية للفرد، والحياة الخارجية الاجتماعية، أي تربط ما بين الذاتي والموضوعي، لذا كان لعالمها (عالم الإمكان) وجود حقيقي ومتداول يومي للحياة في التفكير والتعبير والتفاعل والمشاركة. إن التدوينية على الرغم من تقديم نفسها كهامش، أصبحت في الأساس أصبح المركز الذي يتمحور حوله الفرد. وهذا ما فتح الباب أمام المخاوف من الأجيال اللاحقة لها في تجاربها على الذكاء الصناعي، ومن التفاعلية في تطوراتها المتجددة، والآفاق الواسعة والمتعددة لقنوات التواصل فيما بينها وبين الفرد، وما بين الفرد والآخر أو الأفراد الآخرين المتصلين بها. إنها تؤسس لحركة (اقتصادية – اجتماعية)، يعد الاندماج المرتبط بالحرية مبدأ أساسيا فيها، إذ تمنحك القوة في العمل على وفق طريقتك الخاصة، والنفاذ إلى المعلومة التي تحتاجها في استخداماتك، والوصول أيضًا إلى ما تحتفظ به ذاكرتك، وذاكرة الأصدقاء، وذاكرة عالم النظام الأوسع، عالم المدونة، العالم التشاركي والتعاوني، إذ "يمنحك التعاون القدرة السحرية على العمل مع أفراد آخرين عبر المكان والزمان. وتساعدك ملاءمة الطلب على تجهيز حاسوبك تبعا لرغباتك وخصائصك الفريدة"[٤٧]، لكنها تعمل في الوقت نفسه على ضرورة وجودها الآني في تعزيز قوتها كمرحلة جديدة، تؤسس لها عن طريق احتوائها للكل، جميع الأجزاء، المتشابهات، المتضادات، والمتكاملات، إذ تجمع ما بين الشفاهية والكتابية، وما بين الاقتصادية والاجتماعية، وما بين الذاتية والموضوعية، وما بين

الفردية والجماعية، وما بين عالم الإمكان والعالم الواقعي، وما بين المركز والهامش، وما بين الأبجدية الرقمية والأبجدية اللغوية في التواصل ما بين الفرد والآلة وما بين الفرد والآخر، لذا فإن "القوة الحقيقية تكمن في أن تؤلفها إحداها مع الأخرى، ثم أن تصل في النهاية إلى تعشيقها مع الأجزاء البشرية الكثيرة التي نشترك فيها يوميًّا في المنزل وفي العمل"(٤٨). إن فعل التدوينية وعملها التطوري للتواصل في (إنشاء وسط جديد– عالم افتراضي رقمي– ينشط في العالم الواقعي)، يؤكد على مفهومًا يصور مجتمعات كاملة قد اعتمدت التواصل في عالم افتراضي عن طريق التدوين الرقمي، بعيدًا عن اللقاء المباشر، والولوج في فضاء الإنترنت، على وفق أنظمة (حسابية– إلكترونية)، تتمثل بالمدونات المكتوبة، الصوتية، والصورية الفوتوغرافية والفيديوية. لتشكل لغة جديدة لثقافة عصرها، لغة التواصل الرقمي، فتحدد هذه اللغة نوعًا معينًا من الوعي قد أنشأته التدوينية يمكنه التعبير عنها فيها.

merc.journals.ekb.eg
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

الخاتمة:

تنافس التدوينية في استراتيجيتها الثقافة، من حيث الذاتي والموضوعي، فالثقافة هي الشكل الموضوعي المحيطة بالفرد والخارجة عنه، تهتم بتطوير ذاتية الفرد في المجتمع، بينما التدوينية هي الشكل الموضوعي والمحيط بالفرد أيضا، لكنها تهتم بالترابطية في مشاركة الكل من الواقع الافتراضي والحقيقي. الكل جسد واحد، فتصبح ذاتية الفرد ذاتيتها هي، الإقطاعي الجديد، ذاتية يحركها الاقتصاد الرأسمالي، والحرية التي تدعو إليها هي انفصال الفرد عن العالم الحقيقي والمجتمع والتوحد مع التدوينية في فضاءها الافتراضي. إذ يشكل الأفراد النواة لمركزية التدوينية، وشبكة الإنترنت ووسائل الإعلام أدواتها، وتحرص على تنوع الأفراد وتعددية الثقافات التي يحملونها، وكلما ازداد تعدادهم تزداد هي قوة ومركزية، فتجعل منهم منتجين لمضامينها المختلفة والمروجين لها، وفي الوقت نفسه يشكلون هم أنفسهم إنتاجها، لذا سجلت التدوينية نجاحا في تحقيق أهدافها الاقتصادية، بدخول التقنية إلى جميع أدوات الحياة اليومية للفرد من ناحية، ومن الناحية الاجتماعية، هي مستمرة في تحقيق مخططاتها للسيطرة على الذين يخضعون لها والخارجين عنها، عن طريق خلق ذائقة وفق فلسفتها الجماهيرية، في قيادة الثقافة الشعبية، والشعبي– نخبوي، وثقافة النخبة، لتصبح بذلك المصدر الأول في المعرفة والإدراك لهم. إن ما يظهر من التدوينية لا يجسد فكرها الفلسفي، إنما هي تشكل المحيط الذي يحتضن الفرد ويطبع على ذاته خصوصياتها، وتعمل على ربطه بمختلف التوجهات الفكرية، وتدفعه نحو التفاعل معها، وفق قواعدها المحددة بسياقات وظيفية ودلالات معينة.

الهوامش

(1)https://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%AF%D9%88%D9%86

(٢)– المصدر نفسه.

(٣) فاطمة البريكي: الكتابة والتكنولوجيا، الدار البيضاء– بيروت: (المركز الثقافي العربي)، ٢٠٠٨،ص ١٦.

(٤) أحمد زيغمي: فلسفة التاريخ عند هيجل، أريانة– تونس: (كلمة للتوزيع والنشر)، ٢٠١٥، ص ٥٩.

(٥) والتر ج. أونج: الشفاهية والكتابية، تر: حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة ١٨٢، الكويت: (المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب)، ١٩٩٤، ص ٤٧.

(٦) المصدر السابق، ص ٧٨.

(٧) المصدر السابق، ص ٦٤.

(٨) المصدر السابق، ص ٧٩.

(٩) المصدر السابق، ص ٦٣.

(١٠) ينظر: مجموعة من النقاد: اتجاهات في النقد الأدبي الحديث، تر محمد درويش، بغداد: (دار المأمون للترجمة والنشر)، ٢٠٠٩، ص ٢٠.

(١١) ديفيد ر. أولسون، نانسي تورانس: الكتابية والشفاهية، تر: صبري محمد حسن، القاهرة: (المركز القومي للترجمة)، ٢٠١٠، ص ٥٠.

(١٢) ينظر: مجموعة مؤلفين: التاريخ الشفوي– مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، مج ١، بيروت: (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، ٢٠١٥، ص ٢٢.

(١٣) غريغور شولز: الكتابة والشفوية في بدايات الإسلام، تر رشيد بازي، الدار البيضاء– المغرب: (المركز الثقافي للكتاب)، ٢٠١٦، ص ١٢.

(١٤) ديفيد ر. اولسون، نانسي تورانس: مصدر سابق، ص ٣٦٥.

(١٥) والتر ج. اونج: مصدر سابق، ص ١٣٢.

(١٦) والتر ج. اونج: مصدر سابق، ٧٣.

(١٧) ديفيد ر. اولسون، ونانسي تورانس: مصدر سابق، ص ٣٥.

(١٨) والتر ج. اونج: مصدر سابق، ص ٨٦.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) ينظر: مجموعة مؤلفين: التاريخ الشفوي– مقاربات في الحقل الاجتماعي– الأنثروبولوجي، مج ٢، بيروت: (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، ٢٠١٥، ص ٤١.

(٢١) والتر ج. اونج: مصدر سابق، ص ٥٢.

(٢٢) ريمي ريفيل: الثورة الرقمية، ثورة صناعية ؟، تر: سعيد بلمبوخت، عالم المعرفة، ع ٤٦٢ الكويت: (المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب)، ٢٠١٨، ص ١٧.

(٢٣) ريمي ريفيل: مصدر سابق، ص ١٧.

(٢٤) إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: معجم مصطلحات عصر العولمة– مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية، قويسنا: (د. ن.)، ٢٠٠٣، ص ٢٥٨.

(٢٥) جيرارد فيليب بيري (من مواليد ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨) هو عالم كمبيوتر فرنسي، وعضو في الأكاديمية الفرنسية للعلوم (أكاديمية العلوم)، والأكاديمية الفرنسية للتكنولوجيا (أكاديمية التقنيات)، وأكاديمية أوروبا. قدم عمل بيري، الذي يمتد لأكثر من ٣٠ عامًا، إسهامات مهمة في ثلاثة مجالات رئيسة: حساب التفاضل والتكامل لامدا والبرمجة الوظيفية، لغات البرمجة المتوازية وفي الوقت الحقيقي، أتمتة التصميم للدوائر الرقمية المتزامنة.

https://en.m.wikipedia.org/wiki/Gérard_Berry

(٢٦) ينظر: ريمي ريفيل، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٢٧) ستيفان فيال: الكينونة والشاشة– كيف يغير الرقمي الإدراك، تر: إدريس كثير، المنامة: (مطبعة كركي– بيروت)، ٢٠١٨، ص ٨٦.

(٢٨) المجتمع الافتراضي: هو المجتمع الذي يتكون من الأفراد الذين يتفاعلون ويواظبون باستمرار على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في العلاقة فيما بينهم دون ارتباط بثقافة أو مجتمع أو أسرة أو نطاق مكاني محدد.

جمال سند السويدي: مصدر سابق، ص ٧٢.

(٢٩) ستيفان فيال: مصدر سابق، ص ١٨٠.

(٣٠) الفضاء السايبري: هو مجال رقمي يوجد داخل مسافات متشابكة من خطوط وقنوات الاتصال المعدنية والضوئية والهوائية في شبكة الشبكات الإنترنت، ويشار إليه تكنولوجيا بأنه طريق المعلومات فائق السرعة، متمدد، ومتسع لمساحات هائلة من الانطلاق الحركي= = في آليات تفاعلية للعقول الإنسانية والحاسوبية بأنواعها، ومن خلال هذا الفضاء يحدث التفاعل البشري الآلي عقليا، ونفسيا، واجتماعيًّا، بمختلف الحواس الإنسانية وكذلك الآلية.

علي محمد رحومة: علم الاجتماع الآلي مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصالات عبر الحاسوب، عالم المعرفة، ع ٣٤٧، الكويت: (المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب)، ٢٠٠٨، ص١٢٣.

(٣١) المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٣٢) والتر ج. اونج: مصدر سابق، ص ٤٣.

(٣٣) مؤيد نصيف جاسم السعدي: فلسفة التواصل في موقع الفيسبوك، الجزائر: (ألفا للوثائق)، ٢٠١٦، ص ١١٣.

(٣٤) مي عبدالله: مصدر سابق، ص ١٧٥.

(35)http://www.asbu.net/asbutext/pdf/2010_03_094.pdf

(٣٦) إيريك ميغري: مصدر سابق، ص ١٨١.

(٣٧) يشير مصطلح (مدرسة فرانكفورت) إلى أعمال أولئك الفلاسفة، والنقاد الثقافيين والعلماء الاجتماعيين الذين كانوا ينتمون إلى معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي وأشهر الشخصيات التي يسهل ربطها بهذه المدرسة: ماكس هوركهايمر، وتيودور ادورنو، وهربرت ماركيوز، وإيريك فروم، ووالتر بنيامين. ومن بين الشخصيات التي ظهرت في (الجيل الثاني) بعد الحرب العالمية الثانية، هابرماس.

اندرو إدجار، بيتر سيدجويك: موسوعة النظرية الثقافية– المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ط ٢، تر محمد الجواهري، القاهرة: (المركز القومي للترجمة)، ٢٠١٤، ص ٥٩٨.

(٣٨) ستيفان فيال: مصدر سابق، ص ٤٢.

(٣٩) ينظر: جان مارك فيري: فلسفة التواصل، تر عمر مهيبل، الجزائر: (منشورات اختلاف)، ٢٠٠٦، ص ١٧.

(٤٠) فرنسيس بال: الميديا، تر فؤاد شاهين، بيروت: (دار الكتاب الجديد المتحدة)، ٢٠٠٨، ص ١٢٢.

(٤١) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٤٢) وضع اليهو كاتز وزملاؤه خمسة فروض رئيسة تتعلق بكيفية استخدام الجمهور لوسائل الاتصال والإشباعات التي تحققها من هذا الاستخدام، وهذه الفروض هي: الجمهور مشاركون فعالون في عملية الاتصال الجماهيري، ويعبر استخدام وسائل الاتصال عن الحاجات التي يدركها الجمهور، وتأكيد أن الجمهور هو الذي يختار الرسائل والمضمون الذي يشبع حاجته، ويستطيع أفراد الجمهور دائما تحديد حاجاتهم ودوافعهم وذلك يجعلهم يختارون الوسائل التي تلبي حاجاتهم، والاستدلال على المعايير الثقافية السائدة عن طريق استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال.

مهند حميد التميمي: التلفزيون والتواصل الاجتماعي– تكامل أم صراع ؟، عمان: (دار أمجد للنشر والتوزيع)، ٢٠١٧، ص ١٣٦.

(٤٣) المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٤٤) فاطمة كدو: أدب. com– مقاربة للدرس الأدبي الرقمي بالجامعة، الرباط: (دار الأمان)، ٢٠١٤، ص ١١.

(٤٥) إيريك ميغري: مصدر سابق، ص ٥٣٨.

(٤٦) الصادق رابح: مصدر سابق، ص ١٤٤.

(٤٧) مايكل ديرتوزوس: ثورة لم تنته– حواسيب محورها الأنسان وما يمكن أن تؤديه لنا، تر مصطفى إبراهيم فهمي، بيروت: (المنظمة العربية للترجمة)، ٢٠٠٦، ص ٢١٧.

(٤٨) المصدر نفسه.

Middle East Research Journal

Refereed Scientific Journal (Accredited) Monthly
Issued by Middle East Research Center

Forty-seventh year · Founded in 1974

Vol. 69 November 2021
Issn: 2536-9504
Online Issn :(2735-5233)